

واللغة والعربية»<sup>( 1 )</sup>. والعربية تعني النحو .

وفرق عبد اللطيف البغدادي بين وظيفة النحوي ووظيفة اللغوي فقال: «اعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه ، وأما النحوي ، فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي وقيس عليه»<sup>( 2 )</sup> .

## علم اللغة

ظهر مصطلح (علم اللغة) في كتب التراث ، ويعد مرادفاً لمصطلح اللغة ، فقد ذكر ابن خلدون «علم اللغة» ضمن علوم اللسان العربي ، وعرفه بقول: «هو بيان الموضوعات اللغوية» أي معاني المفردات ، ثم يذكر أن الفساد في موضوعات الألفاظ قد وقع بعد فساد الألسنة في الأعراب ، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه . فاحتجج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتابة والتدوين خشية ضياعها ، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث ، وأشار إلى سبق الخليل في البحث اللغوي في معجمه (العين) الرائد في علم المعجم . وأشار إلى الزبيدي والجوهري والزمخشري .

ويتبين من كلام ابن خلدون أن علم اللغة يعني دراسة معاني المفردات<sup>( 3 )</sup> .

ويرى أبو حيان الأندلسي أن علم النحو موضوعه أمور كلية (التركيب)، وعلم اللغة موضوعه أمور جزئية (المفردات) ، وظهر إلى جوار «اللغة» و «علم اللغة» مصطلح ثالث وهو «متن اللغة»، ويتبين من كتب التراث أن المصطلحات الثلاثة مترادفة<sup>( 4 )</sup> ، فموضوع البحث في هذه الموضوعات جمع مفردات اللغة ، وبحث معانيها ، وكان الهدف الرئيسي من دراسة اللغة ، معرفة معاني القرآن الكريم .

وقد استطاع علماء العربية أن يضعوا تصورا دقيقا للبحث اللغوي ، كما توصلوا في فترة

( 1 ) نفسه .

( 2 ) المزهر في علوم اللغة في الأدب ، لجلال الدين السيوطي 1 / 59 .

( 3 ) ارجع إلى: المقدمة ص 516 - 519 .

( 4 ) ارجع إلى: المزهر ج 1 / 43 .

مبكرة إلى وضع مفهوم دقيق لمصطلح اللغة ، لم يتجاوز ما أجمع عليه البحث الحديث .  
ويعد ابن جني أول من وضع تعريفاً اصطلاحياً دقيقاً لمفهوم اللغة ، وذلك في القرن  
الرابع الهجري (ت 391هـ) :

«حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»<sup>( 1 )</sup> فاللغة ذات طبيعة صوتية ،  
و ذات وظيفة اجتماعية ، فهي أهم وسائل الاتصال الإنساني من حيث الدلالة ، والتعبير،  
والتبيين والاتساع .

ولقد اهتم كثير من الباحثين بجهود ابن جني اللغوية ، فقد وضع أسس البحث  
العلمي للغة التي اقتربت كثيراً من الدراسات العلمية الحديثة ، ومن أهم ما توصل إليه سبقه  
إلى تحديد مفهوم اللغة ، وقد عقب الدكتور حجازي على تعريفه ، فقال:

«وهذا التعريف يتضمن العناصر الأساسية لتعريف اللغة ، ويتفق مع كثير من  
التعريفات الحديثة للغة ، فهو يوضح الطبيعة الصوتية للغة ، ويؤكد أن اللغة أصوات ، وهو  
بهذا يستبعد الخطأ الشائع الذي يتوهم أن اللغة في جوهرها ظاهر مكتوبة ، وبين تعريف ابن  
جني وظيفة اللغة الاجتماعية ، وهي التعبير والتواصل ، وأن لها إطاراً اجتماعياً ، ومن ثم فهي  
تختلف باختلاف الجماعات الإنسانية .

وبذلك يوضح تعريف ابن جني طبيعة اللغة من جانب ووظيفتها الاجتماعية من

---

( 1 ) الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار ط 1416/3 هـ ، الهيئة المصرية العامة  
للكتاب جـ 1 / 43 .

لقد جمع تعريف ابن جني بين الآراء التي ترى أن « اللغة نظام من الرموز الصوتية » ، والآراء التي تراها  
وسيلة اتصال وتعبير بين أفراد المجتمع .

قال «كل قوم» فالمجتمع الإنساني ليس له لسان واحد بل تخصص كل جماعة نفسها بلغة . وقد جمع أبو  
البقاء الكفوي تعريفات اللغة فقال : «اللغة هي أصوات بها يعبر كل قوم عن أغراضهم ... وقيل: ما  
جرى على لسان كل قوم . وقيل الكلام المصطلح عليه بين كل قبيلة ، وقيل: معرفة أفراد الكلمة .  
الكليات ص 796 .

الجانب الآخر» ( 1 ). وقد أطلق لفظ اللغة قديماً على اللغة عامة كما أطلق أيضاً على اللهجات . فقد كانت لهجات العرب تسمى لغات . ، وأطلق على دراسة المفردات ومعانيها كما أطلق على ما جرى على لسان كل قوم دون تحديد وصف له .

لقد اقترب مفهوم ابن جني للغة من المفهوم الحديث الذي يرى أن اللغة نظام من العلامات المنتظمة تقوم بوظيفة اتصالية . (نقل المعلومات) ، ويرتب على تعريف اللغة بأنها نظام ، مناقشة وظيفتها الاجتماعية ، فهي تؤمن وتضمن تبادل المعلومات ، وتضمن حفظها وتراكمها في المجتمع الذي يستخدمها ( 2 ) .

ويقدم ابن خلدون هو الآخر تعريفاً متقدماً في مقدمته فيقول: «اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لساني ناشئة عن القصد لإفادة الكلام ، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان ، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم ( 3 ) . فاللغة عنده أصوات قيلت عن قصد لإفادة معنى ، واللسان الأداة التي تنتجها، ويقول في موضع آخر «اللغة ملكة في اللسان وكذا الخط صناعة ملكتها في اليد» ( 4 ) .

وهناك فرق بين «اللغة» . وبين ما يطلق عليه اسم «علم اللغة» ، وقد سبق أن تناولنا «اللغة» ، ونعني بها المادة المنطوقة أو المكتوبة التي يستخدمها المجتمع البشري في التعبير والتواصل، أما مصطلح علم اللغة **Linguistics** أو **linguistique** ، فقد جاء في كتب التراث القديمة بمعنى دراسة المفردات اللغوية، وهو قريب من مفهوم المعجم اللغوي .

وقد توسع مفهوم هذا المصطلح حديثاً واشتمل على جوانب دراسة اللغة ومناهج بحثها ، فعلم اللغة «هو العلم الذي يبحث في اللغة ، ويتخذها موضوعاً له ، فيدرسها من النواحي الوصفية ، والتاريخية ، والمقارنة ، كما يدرس العلاقات الكائنة بين اللغات المختلفة،

( 1 ) مدخل إلى علم اللغة الدكتور حجازي . دار الثقافة ، ط 2 ، ص 10 .

( 2 ) سيمو طيقا لسينها ، يوري لوتمان ، ترجمة نصر حامد أبو زيد ، مدخل إلى السميوطيقا ص 266 .

( 3 ) المقدمة ص 1254 .

( 4 ) نفسه ص 1254 .

أو بين مجموعة من هذه اللغات ، ويدرس وظائف اللغة وأساليبها المتعددة أو علاقتها بالنظم الاجتماعية المختلفة»<sup>( 1 )</sup> ، فعلم اللغة **Linguistics** في أبسط تعريفاته هو دراسة اللغة على نحو علمي<sup>( 2 )</sup> .

إن علم اللغة هو الدراسة العلمية للغة واللغات<sup>( 3 )</sup> فعلم اللغة هو دراسة اللغة واللغة تتعلق باللسان الإنساني ، وهناك تعريفات أوسع ، ترى أنها «تلك الألفاظ التي تحمل معني ، أو كل شيء له معنى مفيد أو كل شيء ينقل المعنى من عقل إنساني لآخر»<sup>( 4 )</sup> .

ويرى ماريوباي أن «هذه التعريفات الواسعة لا تقتصر اللغة على صورتها المتكلمة فقط، بل تحوي إلى جانب ذلك الإشارات ، والإيجاءات ، وتعبيرات الوجه ، والرموز من أي نوع ، مثل إشارات المرور ، والأسهم ، وحتى الصور والرسوم ، وكذلك دقات الطبول الخاصة في أدغال أفريقية ، وإطلاق الدخان بطريقة معينة بين الهنود الأمريكيين . كل هذه الأشكال للنواقل المعبرة تلقي اهتمام عالم المعنى الذي يهتم بكل رمز له معنى مفيد ، بغض النظر عن أصله وطبيعته ودلالته ، ولكن اللغوي لا يلقى بالاً إليها إلا بدرجة محدودة»<sup>( 5 )</sup> .

إن اللغة نظام من الرموز متكامل يعطي دلالات ذات معنى ، في التواصل بين الكائنات الحية ، وهذه الرموز تتمثل في اللغة التي يتعامل بها الإنسان ، والتي تعد أكثر تركيباً وتعقيداً ، والمتمثلة في الكلمات ذات الدلالة ، ولكن هناك أشياء أخرى غير لغوية ، ولكنها تؤدي دلالات ذهنية في التواصل الاجتماعي ، وإن كانت محدودة الدلالة ، ولا تبلغ درجة اللغة مثل الصفير والصراخ ، وأصوات الأم والبكاء والضحك وغير ذلك من الأصوات ذات الدلالة على المواقف ، ويدخل في ذلك الشكل والزي والحركة والهيئة واللون والعلامات مثل : إشارات المرور ، والإشارات الضوئية التي تعطي دلالات معينة في مجالات

---

( 1 ) المدخل إلى علم اللغة ، الدكتور: رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ص 8 .

( 2 ) المدخل إلى علم اللغة . الدكتور محمود فهمي حجازي ، دار الثقافة 1976 م . ص 17 .

( 3 ) أسس علم اللغة ، ماريوباي ، ترجمة أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ص 29 .

( 4 ) نفسه ص 35 .

( 5 ) نفسه .

التواصل الإنساني ( 1 ) .

وهناك فرق بين اللغة التي يتواصل بها الإنسان وتلك الأشياء ، فاللغة (الكلام) نظام إنساني يعتمد على الفكر والقدرة على الإفصاح والتعبير ، أما الحركات، والأصوات ، والزبي ، واللون ، فليست لغة ، وإنما هي رموز ذات دلالات خاصة ومحدودة .

واللغة ملكة إنسانية مصدرها الجهاز النطقي عند الإنسان . وهذا لا يعني استبعاد الرموز من وظائفها الاجتماعية ، فاللغة تفسر أحياناً في إطار تلك الرموز التي تشارك مشاركة فعالة في التواصل الاجتماعي ، وذلك في الخطاب اليومي الشفهي ، وتبقى اللغة هي أهم وسائل الاتصال الإنساني وأكثرها دلالة وانتشاراً وأسرعها فهماً .

إن الإنسان لديه القدرة على ابتداء واستعمال اللغة الرمزية ، فاللغة عامة مجموعة من الحروف ، أو العناصر ، والقواعد التي تتحكم في تركيبها واستخدامها ، واللغة التي يتكلمها الإنسان مثل: العربية ، والإنجليزية ، والفرنسية ، لغة طبيعية ، ولكن الإنسان تمكن من وضع رموز تؤدي دلالات الكلمات والحروف . مثل شفرة «مورس Morse» ونظام برييل الرمزي ، ولغة الإشارة ، والحركة ، وقد استخدم الإنسان هذه العلامات طبقاً للاحتياجات البشرية الخاصة ، وهذه الرموز تم الاتفاق عليها بطريقة عشوائية ؛ لتؤدي دلالة معينة في حقل استخدامها الذي اصطلح على دلالتها .

إن الرموز بيانات على هيئة أشكال وحروف وكلمات وأشياء ، وأفعال ترمز لشيء إلى جانب ترميز نفسها أو الدلالة على نفسها مثل «العلم» الذي يرمز إلى شعار الدولة له دلالة خاصة في وجدان مواطني هذا البلد . إلى جانب أنه علم مصنوع من قماش أو غيره وله لون معين .

والإنسان وحده له القدرة على وضع الرمز وتطويره إلى جانب أنه يتأثر به ويتفاعل معه ، ويحمل له دلالة ذهنية أو تصورا ، ولكن ما هي العلاقة بين الرمز الدال وبين المفهوم أو

---

( 1 ) مدخل إلى علم اللغة . د. حجازي ص 10 ، 11 .

التصور؟ ( 1 ) .

إن كلمة «كلب» ليس لها مدلول في شكلها الكتابي المكون من حروف ، فهي في أبسط صورها عبارة عن أحرف مكتوبة على ورق أو مجموعة أصوات متتالية تخرج من مخارجها الصوتية في حالة النطق ، وهي في كلتا الحالتين رمز في المجتمع الذي تواضع عليه لشيء يعرفه ويتصوره .

ولكن العلاقة عشوائية أو اعتباطية بين الرمز الحرفي «كلب» المكون من ( ك . ل . ب ) والحيوان الذي يشير إليه الرمز ، فليست هناك علاقة بين الحروف المكونة للفظ وبين الحيوان أو مفهوم الحيوان إلا الإشارة إليه بمعنى أننا وضعنا هذا الرمز ، الكتابي واتفقنا عليه ليصبح علماً لهذا الحيوان ، ومن ثم يمكن لأي كلمة أخرى أن تقوم مقام هذه الكلمة ، فكلم كلب تخص الناطقين بالعربية فقط ، ولو كان هناك ارتباط بين الرمز المشير والمشار إليه ، لانفقت أسماء الأشياء في اللغات جميعها ، ولصارت كلمة «كلب» في جميع اللغات ، لكن كل جماعة اتفقت على وضع رمز يشير إليه .

هذا في إطار اللغة أما في إطار الرمز غير اللغوي ، فلا تحكمه تلك القاعدة ، لأنهارموز تعليمية ترتبط بمجال كل مهنة ، فإشارات المرور تكاد تكون متفقة في جميع الدول التي تستخدم وسائل النقل الحديثة ، وكذلك الإشارات التي ترسلها السفن قد تكون واحدة ، ولكن هناك رموزاً تتعلق مدلولاتها بالثقافة ومن ثم تختلف من ثقافة وأخرى ، مثل أساليب التحية والوداع .

وتعد اللغة أفضل وسائل الاتصال وأرقاها ، وأكثرها دلالة وانتشاراً وتنوعاً من الرموز غير اللغوية ، رغم أنها تؤدي دلالات أسرع أحياناً مثل إشارة المرور الحمراء التي تعني «قف» ، والإنسان يتعلم معاني تلك الرموز غير اللغوية ، مثلما يتعلم الرموز اللغوية ، فقد تعلم أن الضوء الأحمر يعني قف في إشارة المرور ، ولكنه لا يعني هذه الدلالة في مكان آخر فإن الرمز غير اللغوي هو الآخر اعتباطي وإن انفقت عليه جموع البشرية ، فهو في النهاية

---

( 1 ) ارجع إلى كتابنا الدلالة اللفظية ، مكتبة الأنجلو ، ص 14-16 .

لا يدل على المشار إليه في جميع الحالات .

ونؤكد في الوقت نفسه أن الإنسان وحده هو الذي يستطيع إنتاج اللغة (أو الرموز) ويطورها؛ لأن اللغة تحتاج إلى طاقة أدائية وفكر ، ولكن الحيوانات تنطق أصواتاً أو تقوم بحركات معينة ، وهي مجبولة عليها من خلال الاستعداد الطبيعي ، فهي تؤدي هذا دون تعليم ، وتظل تلك الحركات والأصوات مصاحبة للحيوان يفعلها ، وإن نشأ بعيداً عن المجتمع الحيواني ، ولكن الإنسان لا يستطيع معرفة اللغة أو الرموز دون أن يتعلمها وينشأ عليها ، رغم أنه مزود بالقدرة على التعلم ، ولكنه يعجز عن الوصول إلى فهم الشيء إن لم يستلهم معانيه ، ومن ثم فالمجتمع هو المدرسة الأولى التي تعلم الإنسان فيها الكلام ، واكتسب منه اللغة ، بيد أن الحيوان مجبول على أصواته، وحركاته السلوكية يولد عليها ، ويموت عليها دون تطوير أو تغيير ، وقد فشلت محاولات تعليم الحيوان النطق ، وإن نطق بعض الأصوات البشرية ، فهي مجرد محاكاة لا غير ولا يفهم مدلولها ، ولكن من الممكن ترويض الحيوان على بعض الحركات الرمزية وتهذيب سلوكه ، ويظل الإنسان بهذا صاحب الملكة اللغوية التي تميزه عن الحيوان ، تصديقا للحقيقة العلمية التي تقول إن «الإنسان حيوان ناطق» .

## موضوع علم اللغة

موضوع علم اللغة اللغوية البشرية جميعها قديمها وحديثها ، وحيها وميتها وسواء أكانت منطوقة أو مكتوبة فكل النشاط اللغوي لكافة طبقات المجتمع قديماً وحديثاً هو موضوع دراسة علم اللغة ، دون اعتبار في ذلك لمقدار جودة اللغة أو رداءتها، وفصاحتها أو ضعفها ، وصحتها وسلامتها من اللحن ، أو شيوعه فيها ، فإن موضوع علم اللغة الأصلي هو دراسة اللغة لا كظاهرة صوتية أو ظاهرة عضلية أو حسية تخضع للحركات أو للإدراك الحسي أو لفهم الأصوات ، ولكن كوسيلة للاتصال الإنساني ، فاللغة ظاهرة اجتماعية نشأت في ظل كيان اجتماعي وتنمو بنموه وتتسع باتساعه وتتأثر به ، ولهذا فموضوع علم اللغة اللغوية البشرية ، ولا يدخل في مجال دراسته ما يسمى بلغات الكائنات المجهولة أو منطلق الحيوان ، ومجال دراسته جميع اللغات العالمية بكافة مستوياتها .